

تاريخ الكنيسة الأرثوذكسية الروسية في مصر

يرجع أول ظهور للشطات الروسي داخل مصر إلى أواخر القرن التاسع عشر، غير أنهم كانوا جميعاً من حيث انتماءهم القومى تقريباً من اليهود حتى عام ١٩٢٠. ذكر هذا نائب القنصل الروسي في القاهرة سيرجي زوييف في تقريره بداية عام ١٩١٥ إذ قال: «إن ٩٦٪ من المواطنين التابعين للقنصلية الروسية يعتنقون اليهودية»^{٧٦}، وأن الأعداد المحدودة من الروس الأرثوذكس، كانوا يتوجهون إلى الكنائس اليونانية»^{٧٧}.

يرجع تأسيس أول كنيسة أرثوذكسية روسية داخل مصر إلى نهاية عام ١٩١٤، حيث تم إجلاء البعثة الدينية الروسية مع رئيسها الأرشمندريت ليونيد من فلسطين إلى الإسكندرية، بعد دخول الإمبراطورية العثمانية الحرب العالمية الأولى. وتزامن مع ذلك وصول مجموعة من الحجاج الأرثوذكس قوامها ٩٥ حاجاً^{٧٨}. قامت القنصلية الروسية بتأجير منزل مستقل في ٢٤ ميدان الرمل (سعد زغلول الآن)، وهو المكان الذي أطلق عليه فيما بعد «البيت الروسي». وفي إحدى شقق الطابق الثانى أقاموا كنيسة باسم القديس «ألكسندر نيفسكي»^{٧٩}.

- ٧٢٦ عن مقالة: Русская православная церковь в Египте، والتي نشرت بمجلة «الأرشيف الشرقى»، إصدار معهد الاستشراق التابع لأكاديمية العلوم الروسية للمستشرق الروسي Belyakov Vladimir أرشيف السياسة الخارجية للإمبراطورية الروسية ملف ٣١٧، حافظة ٨٢٠/٣، وثيقة ٥٠٦، السطر ٥٣.
- ٧٢٧ لمزيد من التفاصيل أنظر: «فلاديمير بيلياكوف» (على ضفاف النيل المقدس) الروس في مصر. موسكو ٢٠٠٣. ص ١٠٠-١٠٢.
- ٧٢٨ أرشيف السياسة الخارجية للإمبراطورية الروسية. الملف ٣١٧، حافظة ٨٢٠/١، وثيقة ٦٥٧، السطر ١٢٩.
- ٧٢٩ المرجع نفسه.

في مارس ١٩٢٠، وصل الأراضي المصرية ما يقرب من ٤٥٠٠ لاجيء روسي وتم تسكينهم داخل معسكرات خاصة. في بادئ الأمر، تم وضعهم داخل معسكر المستشفى العسكري في العباسية، الواقعة على أطراف القاهرة، حيث أقاموا داخل ثكنات. وخيام وفي إحدى هذه الخيام أقاموا كنيسة. وقدمت البطيركية اليونانية بالإسكندرية الأدوات الكنسية اللازمة، ثم ما لبثت أن أرسلت البعثة الدينية في فلسطين في أبريل بعض الأدوات، والتي أقامت في الإسكندرية حتى نهاية ١٩٢٠. وخدم في هذه الكنيسة الكاهن بوليكارب فيلاتوف^{٣٠}.

بمجرد تعافي المرضى والجرحى من اللاجئين الروس، تم نقلهم من معسكر العباسية إلى معسكر أكثر راحة في التل الكبير، وهي المنطقة الواقعة بين القاهرة والاسماعيلية. هذا المعسكر تم تقسيمه إلى ثلاثة قطاعات: قطاع خاص بالرجال، وقطاع خاص بالعائلات، وآخر تم تخصيصه ليكون مستشفى. وداخل كل قطاع أقاموا كنيسة. وخدم القمص بطرس جولوبيانتكوف في كنيسة المعسكر الرجالي، والأسقف ألكسندر فولكوفسكي في كنيسة معسكر العائلات، فيما خدم الأب نيكولاي إيكويتكوف في كنيسة المستشفى.

وصل جزء من الأدوات الكنسية في شهر مايو بعد إغلاق معسكر العباسية، والجزء الآخر حصلوا عليه من البعثة الدينية الروسية^{٣١}، غير أن هذه الأدوات لم تكن كافية بالنسبة للكنائس الثلاث؛ ولذلك قام اللاجئون أنفسهم بتصنيع جزء من الأدوات اللازمة من المواد التي في متناول أيديهم.

في يونيو ١٩٢٠ ظهرت الكنيسة الروسية في القاهرة، حيث تم تأسيسها داخل مبنى العيادة الروسية التي قام بافتتاحها الأطباء المرافقين للاجئين الروس. وفي أيام الأحاد كان يقوم بأداء الخدمة بها القمص المجل الأب سمعان نيديلكو، وكان المسؤول أيضاً عن الأمور المالية للعيادة. وبالنسبة للأيقونات فقد استعانوا بالفنانين المحليين لرسمها^{٣٢}.

٣٠ أرشيف السياسة الخارجية للإمبراطورية الروسية. ملف ٣١٧. حافظة ٨٢٠/٣. وثيقة ١٩٣. السطر ٨، ٥١، ٥٨.

٣١ المرجع نفسه السطر ٣٨ - ٣٩، ٥١-٥٢، ٥٨-٧٤، وثيقة ١٩٤، السطر ٣٠.

٣٢ « بيلين ». حياة الروس في مصر // « كوفالفسكى » روسيا في الخارج. باريس، ١٩٧١، ص ٣٢١-٣٢٠.

في بداية ١٩٢١، قاموا بنقل سكان معسكر التل الكبير إلى معسكر آخر. وهو معسكر سيدي بشر الذي يقع على مقربة من الإسكندرية، والذي تم تقسيمه أيضا إلى ثلاثة أجزاء. وهكذا انتقل اللاجئون إلى سيدي بشر وانتقلت معهم الكنائس أيضا. وكان يخدم داخل الكنيسة المخصصة للعائلات وكنيسة المستشفى بالتناوب الأسقف ألكسندر فولكوفسكي؛ وفي كنيسة معسكر الرجال خدم الأب إيبوليت شيشلوف وتجدر الإشارة إلى أنه إذا كان مجلس الإبراشية المنتخب قد تمكن من إدارة كنيسة معسكر العائلات، ففي كنيسة معسكر الرجال لم يكتب النجاح لتشكيل مثل هذا المجلس بأي حال من الأحوال. وصرح أب هذه الكنيسة دوبريتسكي: «من الملاحظ عدم الاكتراث بأمر الكنيسة»^{٧٣٣}.

في يونيو ١٩٢٢، تم إغلاق معسكر سيدي بشر وترحيل اللاجئين الروس الباقين فيه، إلى كل من بلغاريا وصربيا، ونقل الأدوات الكنسية إلى كنيسة القديس ألكسندر نيفسكي، التي أسستها البعثة الدينية الروسية بعد إجلائها من فلسطين.

انتقلت القنصلية الروسية بعد الثورة إلى «البيت الروسي» حيث توجد الكنيسة، فقد رفض الدبلوماسيون الروس الخدمة تحت السلطة السوفيتية، وظلت الحكومة المصرية تعترف بهم وتعامل معهم حتى أكتوبر ١٩٢٣، غير أنهم اضطروا إلى مغادرة الفيلا الفاخرة التي كانت مقر القنصلية الإمبراطورية بسبب نقص الأموال.

فيما بين عامي ١٩٢٠-١٩٢٢ كان هناك معسكر روسي آخر بالقرب من الاسماعيلية ويجانب قناة السويس. في ذلك المكان، تم تسكين «تلاميذ فيلق الدون» الذين تم إجلاؤهم من مدينة نوفوروسيسك. وهناك أقاموا كنيسة، حيث خدم فيها الأب «ديمترى ترويتسكي». وقام الوصي فيروشكين القوزاقى الأورالى بتكوين جوقة رائعة، حتى أنها قامت بجولة في فلسطين، وجلبت من هناك أيقونة بركة البطريك الأرثوذكسى لدميانة المقدسية، وجزءا من الصليب المقدس^{٧٣٤}.

٧٣٣ «فلاديمير بيلياكوف» «المدينة الروسية» في سيدي بشر. بعيون مجلة «في المهجر» // الأرشيف الشرقى رقم ١٣، ٢٠٠٥ ص ٩٦.

٧٣٤ «جوتشاروف يورى». تلاميذ المدرسة العسكرية بالدون في مصر // أفريقيا بعيون المهاجرين. موسكو ٢٠٠٢. ص ٢٠-٢١.

في عام ١٩٢٢ ، استقر المهاجرون الروس في القاهرة وقاموا بتأجير شقة فسيحة بالقرب من الكنيسة ، في منطقة مصر الجديدة الراقية ، وتم نقل كنيسة القديس نيكولاس^{٣٥} من العيادة الروسية إلى هناك .

خلاصة القول ، كان يتم تشييد كنائس أرثوذكسية في أماكن تجمع الروس سواء داخل المعسكرات أو في المدن المصرية الكبيرة . وقد عاشوا في الفترة ما بين الحربين العالميتين في مدينتي القاهرة والإسكندرية ، كما عاش المهاجرون الروس أيضا في مدينة بورسعيد غير أن أعدادهم هناك كانت محدودة ، ولم تكن كافية لتشييد كنيسة خاصة بهم .

كانت الخلافات الطائفية بين المجتمع المضيف والشتات ، تساعد على توحيد وتماسك الشتات وأشار ليفين أن : « الكنائس والمساجد والمعابد في الشتات لا تصبح مراكز للعبادة فقط ، ولكنها تتحول إلى مؤسسات اجتماعية تؤدي وظيفة تكاملية خاصة في الشتات»^{٣٦} .

هذه النتيجة ، يؤكدها تاريخ الشتات الروسي في مصر . فقد كانت الكنائس في القاهرة والإسكندرية التي تعمل تحت رعاية الكنيسة الأرثوذكسية في الخارج تساهم في تكتل وتوحيد الشتات الروسي ، غير أنه في يونيو ١٩٤٥ ، أصبح مصير الكنيسة في الإسكندرية السبب في شق وحدة صف الجالية الروسية . أثناء رحلة بطيريك موسكو وعموم روسيا أليكسي إلى منطقة الشرق الأوسط ، قام بزيارة مصر وكان ضمن برنامج إقامته في مصر زيارة الكنيسة الروسية التي تحمل اسم القديس ألكسندر نيفسكي في الإسكندرية ، والتي قام رئيسها الأب أليكسي ديختيريف بالتوبة وسمح له هو ورجال الدين والرعية ، بالانضمام تحت راية بطيريكية موسكو^{٣٧} .

كتب ديختيريف شارحاً هذه الخطوة : « لنبقى روس حتى النهاية فإننا نحتاج إلى الكنيسة الروسية ، والزعامات الروسية الروحية غير أن هذه الزعامات لم تشملنا ، فقد كنا وحيدين من الناحية الروحية وكان هذا سبب وضعنا المأساوي»^{٣٨} .

- ٣٥ «بوفكالو» الكنيسة الأرثوذكسية الروسية في أفريقيا // آسيا وأفريقيا // آسيا وأفريقيا اليوم . رقم ٢٠٠٣ / ١ ص ٧٣ .
- ٣٦ « ليفين » . عقليات الشتات (تحليل إجتماعي ثقافي) ، موسكو ٢٠٠١ ص ٣٩ .
- ٣٧ مجلة بطيريكية موسكو رقم ٩ ، ١٩٤٥ ، ص ٢٢ .
- ٣٨ «ألكسي ديختيريف» ، الأب ، فرحة غير عادية // مجلة بطيريكية موسكو، عدد ١٠ ، ١٩٤٥ . ص ١٣ .

في مساء ذلك اليوم الرابع عشر من يونية زار البطيريك أليكسي ، وفد من أبناء الرعية حيث أهداه الوفد لوحة تصور صعود الإله ، من عمل الفنان نيكييتا الذي كان ضمن الوفد . وفي اليوم التالي حصل رئيس الكنيسة على صك البطيرياركية بالمناولة الكنسية تحت إشراف بطيريكية موسكو^{٧٣٩} ، وتحولت كنيسة الإسكندرية إلى مقر للكنيسة الروسية الأرثوذكسية ، تحت قيادة بطيريك الروم الأرثوذكس بالأسكندرية وظلت على تلك الصفة حتى عام ٢٠٠٠ .

غير أن انتقال الكنيسة الروسية في الإسكندرية من فئة الكنائس الأرثوذكسية الروسية في الخارج ، إلى بطيريكية موسكو لم يحظ بتأييد كل أبناء الرعية . ولم يوافق على هذا الأمر أيضا بطيريك الروم الأرثوذكس خريستوفر ، والذي إقترح زيارة كنيسة القديس ستيفان أولاً في منطقة زيزينيا . بعد وقت قصير من مجيء الدوقة ميليسيا نيكولايفنا إلى الإسكندرية بصحبة ابنها الأمير رومان بتروفيتش^{٧٤٠} حصلت على إذن بفتح إبرشية . وفي عام ١٩٤٧ ، ودخل شقة مستأجرة تم تأسيس كنيسة ، وخدم فيها الراهب القادم من إيطاليا زوسيم . وبحلول عام ١٩٥٢ ؛ وطبقاً لشهادة أحد المهاجرين يدعى ماركوف تم جمع الأموال لبناء كنيسة أرثوذكسية روسية في الإسكندرية^{٧٤١} لكن هذا المشروع لم يخرج للنور ، وربما يرجع السبب إلى قيام الثورة المصرية في عام ١٩٥٢ ، وفي عام ١٩٥٤ تم نقل الكنيسة من الشقة المستأجرة إلى فيلا أنيقة ، لكن في الرابع والعشرين من سبتمبر ١٩٦١ تم إغلاق الكنيسة . وعلى ما يبدو كان الأمريكمن في النقص الحاد في أعداد الرعية ، فسرعان ما إنكشنت هجرة الشتات الروسي البيضاء ؛ لأسباب طبيعية فعلى الأرجح ربما تكون قد تأثرت بمنافسة كنيسة بطيريكية موسكو لها . وقد انتقلت كل مقتنيات الكنيسة المغلقة لكنيسة القديس نيكولاس الكائنة في حي مصر الجديدة^{٧٤٢} .

- ٧٣٩ المرجع نفسه .
 ٧٤٠ الدوقة «مليسيا نيكولايفينا» ، أميرة الجبل الأسود (٢٦-٧-١٨٦٦ تسببتى- ٥-٩-١٩٥١ الإسكندرية) والمدفونة داخل سرداب الكنيسة الروحية في «كان» . زوجة الدوق «بيتر نيكولايفيتش» وأخت الدوقة «أنستازيا نيكولايفينا» . بعد وفاة زوجها (١٩٣١) سافرت من «فرنسا» إلى «إيطاليا» . وبعد الحرب العالمية الثانية إتجهت إلى مصر (الهجرة الروسية إلى فرنسا ، مجلد ٢ . موسكو ٢٠٠٩) .
 ٧٤١ أرشيف «الدوما» الروسي في الخارج ، موسكو ، ملف ٦٤ . «ماركوف» . وثيقة ١١ ، ٨ .
 ٧٤٢ «بومكالو» ، المرجع السابق ص ٧٣ .

بني المبنى الصغير لهذه الكنيسة متزامناً مع بناء ملجأ للروس في عام ١٩٥٧ بتمويل من الجمعية الخيرية الروسية. وقد أهدى الملك فاروق في عام ١٩٤٠ الجالية الروسية في القاهرة قطعة أرض للبناء عليها. يقع الملجأ والكنيسة في منزل رقم ١٢ بشارع أبو سمبل. وكانت الكنيسة تنتمي إلى الكنائس الأرثوذكسية الروسية في الخارج لكن فيما بعد وبحلول ١٩٨٠ لم يكن هناك أي تواجد للهجرة الروسية البيضاء بشكل فعلي، وتم تسليمها مع الملجأ لليونانيين. وقد عرض نائب بطريرك موسكو وعموم روسيا على آخر رئيس للجالية الروسية «فولكوف» أن يجعل الملجأ والكنيسة تحت وصايته، لكنه رفض بحجة أن الكاهن المبعوث من موسكو من البلاشفة^{٧٤٢}.

وهكذا اختفت من الوجود الكنيسة الروسية الوحيدة في القاهرة، ولكن بعض الروس واصلوا (ويواصلون حتى الآن) زيارتها، مؤكدين أن الكنيسة مليئة بصلوات مواطنينا المؤمنين. قام اليونانيون بعد ذلك بعمل توسيعات للكنيسة، ويوجد بها حتى الآن كثير من الأيقونات الروسية وبعضها ذات كتابات منقوشة. ويقام القداس داخل الكنيسة يوم الجمعة (يوم العطلة في مصر) والأحد الساعة العاشرة صباحاً باللغة العربية. وفي فبراير من عام ٢٠١٠، زار المؤلف هذه الكنيسة وحضر القداس.

بعد انهيار الاتحاد السوفيتي زاد الاهتمام بالدين في روسيا بشكل حاد. وتناول هذه الظاهرة مواطنونا العاملين في مصر من موظفي السفارات والبعثات التجارية والعلميين داخل مدارس السفارة والصحفيين والسيدات المتزوجات من مصريين. ثم ظهرت في القاهرة طائفة أخرى من العمالة الروسية والأوكرانية المرتبطة بعقود عمل من الموسيقيين وراقصي الباليه والمدربين الرياضيين وبعض المتخصصين الآخرين. وبما أنه لا توجد كنيسة روسية في القاهرة، بدأ المؤمنون يرتادون الكنائس اليونانية^{٧٤٤} لحضور القداس والذي يقام بلغة غير مفهومة لهم. من ناحية أخرى، فبينما وصلت الكنيسة الروسية في الإسكندرية عملها باسم القديس ألكسندر نيفسكي (في عام ١٩٨٨ تم الإحتفال بألف عام على

٧٤٣ «فلاديمير بيلياكوف». مصر الروسية. موسكو ٢٠٠٨، ص ٢٢٣.
٧٤٤ عدا الإشارة إلى الكنيسة الروسية السابقة داخل الملجأ، يوجد في القاهرة ثلاث كنائس يونانية أخرى وهي كنيسة القديس «نيقولاى» في المجمع البطريركي بـ «الحزامى» والتي تم إنشاؤها عام ١٨٣٩ بأموال روسية. وهي مزينة بأيقونات روسية مزخرفة، وكنيسة القديس «جورج» في القاهرة القديمة والمقامة عام ٥٣٠ وحصلت على شكلها الحالي عام ١٩٠٩، وذلك بعد اندلاع حريق عدا ذلك الجبانة اليونانية في القاهرة القديمة، حيث تقع كنيسة «العذراء».

تعميد روسيا) لم يتبق هناك أي أحد من مواطنينا . فقد أغلق فرع البعثة التجارية وكذلك ممثلية الأسطول البحري ، وكان إجمالي الموظفين داخل القنصلية والمركز الثقافي للعلوم والفنون لا يتجاوز عشرة أشخاص . بالإضافة إلى هذا العدد ، كان يعيش في الإسكندرية حوالي ٢٥-٢٠ سيدة روسية متزوجات من مصريين . وهكذا اختمر تدريجيا في موسكو القرار الذي تم اتخاذه في بداية عام ١٩٩٩ بنقل مقر الكنيسة الأرثوذكسية الروسية من الإسكندرية إلى القاهرة . وكان الدافع إلى ذلك ليس بسبب العدد الكبير للرعية المتواجد في القاهرة فقط ، ولكن بسبب مشكله حياتية بحته ظهرت مع كنيسة الإسكندرية فالبيت الذي تقع فيه الكنيسة قد تغير مالكة وبعد مرور ٩٠ عاماً كان من المستحيل إثبات ايجار الشقة الرخيص بطريقة قانونية ، فيما طالب المالك الجديد بحقه في استرجاع الشقة .

ولم يفكر أحد في القاهرة في بناء كنيسة خاصة ؛ نظراً لعدم توفر المال لذلك الأمر لدى بطيركية موسكو . وكذلك عدم وجود راع من شركات الأعمال الروسية الكبيرة التي قد تمول عملية البناء . في بادئ الأمر ، كان نائب بطيركية موسكو الأسقف ديمتري نيتسفيتايف ينوي تأجير شقة وتحويلها إلى كنيسة ، كما حدث في الإسكندرية .

لكن سرعان ما ظهرت فكرة أخرى ، فقد عرضت البطيركية اليونانية بالإسكندرية التخلي عن أحد المباني الكنسية المهجورة المتواجدة على أطراف القاهرة لصالح الكنيسة الروسية ولكن بشرط ، هو أن تقدم بطيركية موسكو لليونانيين أحد المباني الكنسية داخل العاصمة الروسية . وكانت الفكرة مغرية فالكنيسة الحقيقية أفضل من أي كنيسة داخل منزل ، ولكن تبقى مشكلة واحدة وهي أن المبنى المقترح من قبل اليونانيين ، الذي كان قد تم تشييده عام ١٩٢٠ ، لم يستخدم منذ ما يقرب من نصف قرن .

بعد ثورة ١٩٥٢ مباشرة تبنت الحكومة المصرية سياسة تقليص العمالة الأجنبية ، وبناء على ذلك فقد تقلصت أعداد الأوروبيين بشدة ، وكان من ضمنهم اليونانيين ولكن بقيت الكنائس . وكان المبنى المقترح يحتاج لكثير من الإصلاحات . ولم تكن هناك أموال مخصصة لذلك . وبعد محادثات مكثفة شارك فيها المؤلف (كنت أعمل آنذاك مراسلاً لجريدة «العمل») تم اتخاذ قرار يقضي بتسليم المبنى ، وجمع الأموال لترميمه من جميع أنحاء العالم .

كان من الممكن أن تتأخر عملية الترميم لسنوات، لولا تواجد «دينيسينكو» أحد أبناء الجالية الروسية، والذي كان يرأس في ذلك الوقت فرع أضخم شركة بناء أمريكية في مصر «بكتل» وتولى المتخصصون التابعون لشركته تحديد حجم العمل، وإعداد دراسة الجدوى وساعد بنفسه في جمع الأموال لإتمام عملية الترميم. وقد كرس بطريرك الإسكندرية اليوناني وعموم أفريقيا «بيوتر السابع» الكنيسة الروسية الواقعة في ٤٥ شارع المسيري في حي الزيتون بالقاهرة في نوفمبر ٢٠٠٠ للقديس ديمتري سولونسكي . وقد حضر الاحتفال سفراء الدول الأرثوذكسية، ووفد من بطريركية موسكو^{٧٤٥} وتعين إغلاق كنيسة الإسكندرية .

يقام القداس داخل الكنيسة الروسية بالقاهرة مرتان أسبوعياً وذلك يومي الجمعة والأحد وفي الأعياد، وكذلك في تلك الأعياد التي توافق أيام أخرى في الأسبوع. ويتردد على الكنيسة مواطنون من روسيا وأوكرانيا وبيلاروسيا وصربيا وبلغاريا. ومن الجدير بالذكر أنه على مدار ما يقرب من قرن على وجود الكنيسة الأرثوذكسية الروسية في مصر، لم تكن هناك أية محاولات لجذب السكان المحليين إليها؛ فالكنائس الروسية كانت تقتصر على خدمة مواطنيها ومواطني البلاد الأرثوذكسية الأخرى.

٧٤٥ لمزيد من التفاصيل انظر: «فلاديمير بيلياكوف». الطريق إلى المعبد // «ترود» ١٢-٥-٢٠٠٠.